

**مقدمة:**

صارت هذه الكلمات اليوم -على عظمتها وجلالها- مجالاً للمتاجرة والمزاودة لدى كثير من الناس، فحرفوها عن معناها وجوهراها.. كلمة حق أريد بها باطل، فصار لابد من البيان -نصيحة لل المسلمين- لحقيقة الاجتماع المنشود والائلاف الحق، حتى لا يرور على كثير من الناس ما يُسوق من دعوات تستغل هذه الأسماء الشرعية لمارب باطلة!

1- الائلاف أمر الله ورضوانه، والتشعب والتفرق من لعب الشيطان بابن آدم:

لقد أمر الله تبارك وتعالى هذه الأمة بالاجتماع والائلاف ووحدة الكلمة ورص الصنوف ونبذ التنازع والتفرق والاختلاف، وترك الشفاق والتفرق والتحزب، يقول الله سبحانه وتعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَإِذْكُرُوا نَعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَافِ حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهُتَّدُونَ} [آل عمران:103].

ويقول: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفَّا كَانُهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ} [الصف:4].

وقال أيضاً: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أُوحَيَنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَفِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُو فِيهِ} [الشورى:13].

قال صلى الله عليه وسلم: {إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةُ الْمَالِ} [1]

ولقد تفتتت الأمة اليوم وتشربنت لما ضحك علينا الشيطان وقسمنا شيئاً وطوابق، وبذلنا أقساماً وأحزاباً، كل حزبٍ بمالديهم فرحون، وكل طائفٍ بما عندهم مقتنعون {فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} [المؤمنون:53].

قد نجح الشيطان في تفريق قلوبنا، وشق صنوفنا؛ ووصل إلى أعماقنا ودخلنا، وزرع فيها الضغائن والأحقاد، والكراهية والحسد؛ فصرنا نختلف على أبسط الأشياء، ويهجر بعضنا بعضاً على أتفه الأمور، فضلاً عن التناحر والاقتتال، ولكنه رجسُ الشيطان وخبيثه، وصدق النبي صلى الله عليه وسلم إذ يقول: {إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيْسَ أَنْ يُعِدَّهُ الْمُصْلُونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ} [2]

عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال: كان النَّاسُ إِذَا نَزَلُوا تَفَرَّقُوا فِي الشِّعَابِ وَالْأَوْدِيَةِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَمٌ: (إِنَّ تَفْرِقُكُمْ فِي الشَّعَابِ وَالْأَوْدِيَةِ إِنَّمَا ذَلِكُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ). [3]

فلم ينزلوا بعد ذلك منزلاً إلا انضم بعضهم إلى بعض.

2- التفرق يوهن بيضة الإسلام:

قال تعالى {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَّعُوا فَتَفَشَّلُوا وَتَذَهَّبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال:46].

أى بقاء التعقيب فقال ناهياً لنا عن التنازع والاختلاف {وَلَا تَنَازَّعُوا} فإذا حصل التنازع والاختلاف ذكر مباشرةً عواقب ذلك فقال {فَتَفَشَّلُوا} وليس الفشل وحده فقط وإنما أيضاً {وَتَذَهَّبَ رِيحُكُمْ} أي تضعف قوتكم وتتلاشى هيئتكم وتصيروا لقمة سائفةً لعدوكم.

ولننتظر المزيد من الفشل الذريع وتبدِّل القوة وذهاب الهيبة، وحلول الوهن، إن أصررنا على التناحر والاختلاف الذميم فيما بيننا.

ها هو يجتمع العالم علينا ونحن نختلف.. وتنكالب الأمم ضدنا ونحن نزداد تشتناً واختلافاً، وتزيد الهجمات علينا من كل حدب وصوب.. ومكرُ الليل والنهر ضدنا جميعاً، ونحن منشغلون ببناء أمجادٍ ممزقةٍ موهومة!

في الوقت الذي يتحتم علينا أن نجتمع على أعدائنا، فإذا بنا نكشفُ ظهورنا لهم، ونُظْهِرُ خلافاتنا أمامهم، وندعوهم من حيث نعلم أو لا نعلم بأن يزيدوا في ضربنا والاستهانة بنا، لأنهم يروننا نكيدُ لبعضنا، وتناحر فيما بيننا، فأين عقولنا؟! أم أين ديننا الذي ندعيه ونحامي عنه، ونرفعُ شعاره ورأيته؟!

بل من المخزي أنَّ المتربيَّنَ بنا صار يحرِّكُنا كالدمى بسبب خلافاتنا وولاءاتنا الضيقية، التي مزقت عباءةَ الإسلام، لتفصيل انتماءاتٍ مشوهةً ممسوحةً!

فهذا عدوُنا اليوم يبلغُ قمةَ صَلَفَه وبطشِه بأهلهنا في وادي بردى، فِيُمْطَرُهُم الموتَ في كُلِّ لحظةٍ.. وفي حلب وإدلب حيث لم تمهلهم غاراتُ البطش، وأسلحةُ الدمار الشامل وقتاً ليتنفسوا...

ألا فإننا بخلافنا وتناحرنا وتفريقنا نحملُ كفلاً عظيماً من هذا الإجرام.. بل لعلنا شركاء به، شعرنا أم لم نشعر بذلك! فلو جمعنا كلمتنا، وشبكتنا أيدينا، ورصصنا صفقنا، لقلنا المعادلة على العالم كله، ولوقفنا سبباً عظيماً أمام يد البطش والإجرام التي أبادت شعبنا.

بل العجب لما يصل الخلاف بيننا إلى أن نستبيح دماء بعضنا، ونسقطوا على سلاح بعضنا، ونفرح بتحرير بعضٍ مما تحت أيدي بعضنا !! طاشت العقول، ورق الدين في النفوس، ألا فليعلم هؤلاء أن النبي صلى الله عليه وسلم بريءٌ من هذه حالة، فعن الحسن البصري قال: "شَهَدُهُمْ يَوْمَ تَرَامَوا بِالْحَصَى، فِي أَمْرٍ عُثْمَانَ حَتَّى جَعَلْتُ أَنْظُرُ فَمَا أَرَى أَدِيمَ السَّمَاءِ مِنَ الرَّهْجِ، فَسَمِعْتُ كَلَامَ امْرَأٍ مِنْ بَعْضِ الْحُجَّرِ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ، فَسَمِعْتُهَا تَقُولُ: إِنَّ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ بَرِئَ مِمَّنْ فَرَقَ دِينَهُ وَاحْتَرَبَ". [4]

مع أنهما اسمان شرعيان، المهاجري والأنصاري، لكن لما كان هناك موالة ومعاداة عليهما، ونصرة في هذين الاسميين، خرجت عن اسم الإسلام بعامة، صارت دعوى جاهلية.

3- سبب الخلاف إنما هو البغي والهوى:

عندما أخبر الله عن أهل الكتاب والاختلافهم، كشف سبب تفرقهم مع ما عندهم من العلم الذي كان يجب أن يجمعهم، ويحسم الخلاف الذي وقعوا فيه، وما ذاك إلا لبغى بعضهم على بعض، يقول الله سبحانه وتعالى: {إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءُهُمُ الْعِلْمُ بَعْدَمَا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكُفُرُ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [آل عمران:19].

وقال سبحانه وتعالى: {وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءُهُمُ الْعِلْمُ بَعْدَمَا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجْلٍ مُسَمَّى لَقُضَى

بَيْنُهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أَرْثَوْا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٌ [الشورى: 14].

قال أبو العالية عن قوله تعالى: **{إِلَّا مَنْ بَعْدِ مَا جَاءُهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا عَلَى الدُّنْيَا وَطَلَبَ مَلْكًا وَسُلْطَانًا، فَقُتِلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَى الدُّنْيَا مِنْ بَعْدِ مَا كَانُوا عُلَمَاءَ النَّاسِ.}** [5]

وقال الطبرى في معناه: "أنهم أتوا ما أتوا من الباطل على علم منهم بخطأ ما قالوه، وأنهم لم يقولوا ذلك جهلاً منهم، ولكنهم قالوه واختلفوا فيه تعدياً من بعضهم على بعض، وطلب الرياسات والملك والسلطان". [6]

فالذى فرق أهل الكتاب هو تنازعهم على السلطة والملك، وحبُّ الرئاسة والظهور والسعى لحصول ذلك ولو بظلم الناس وأخذِ أموالهم وقطع رقابهم.

4- الاجتماع المنشود والاتفاق الحق:

صارت هذه الكلمات اليوم -على عظمتها وجلالها- مجالاً للمتاجرة والمزايدة لدى كثير من الأدعية، فحرفوها عن معناها وجوهرها، كلمة حق أريد بها باطل، فصار لابد من البيان -نصيحة للمسلمين- حقيقة الاجتماع المنشود والاتفاق الحق، حتى لا يروج على كثير من الناس ما يسوق من دعوات تستغل هذه الأسماء الشرعية لمارب باطلة!

إن الاجتماع الحق والاتفاق المنشود هو ما كان على هدى المصطفى صلى الله عليه وسلم في سلمه وحربه ومهادنته وكل شأنه، ومن ذلك ما يلي:

أـ مراعاة أولويات المرحلة وقيمها، ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: **(لولا أن قومك حديث عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم، وجعلت له بابين، بابا شرقيا وبابا غربيا، فبلغت به أساس إبراهيم)** [7]

ومن ذلك مراعااته صلى الله عليه وسلم لحال النجاشي في الحبشة، وأنه لا يمكن أن يكون منه غير هذا الذي هو فيه، ولما مات نعاه وصلى عليه هو وأصحابه، [8]

ومن هذا ما كان من هدى الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما أوقف حد القطع عام المجائعة، لأنه راعى طبيعة المرحلة وأولوياتها.

أما اليوم فقد صار تجاوز تلك الأولويات والتنطع مثاراً للمزايدة على المسلمين، ولاختبارهم في دينهم!

بـ الاجتماع لا يكون على البغي والظلم، بل إن الاجتماع يكون لإقامة العدل، وإن الاجتماع على الظلم والجور والانحراف هو سبب من أسباب الهزيمة، بل يجب الاجتماع على إنكار الباقي وردعه فضلاً عن الدخول تحت رايته !

تـ مراعاة المصلحة العامة على الخاصة: من قواعد الاجتماع والاتفاق أن يكون لحفظ المصلحة العامة، مصلحة الأمة، وليس لحفظ مصلحة شخص أو جماعة أو حزب! بل إن النبي صلى الله عليه وسلم سلم بعد صلح الحديبية رد أبا جندل بن سهيل بن عمرو، [9]، وهذا معلم واضح في حفظ مصلحة الأمة على حساب مصلحة شخص أو جماعة.

ثـ تقليل الأعداء وجبهات الصراع: لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيد النظر في التعامل مع أعداء المسلمين، فلم يكن يفتح على نفسه جبهات معادية هو في غنى عنها حينئذ، بل كان يسعى دائماً إلى تقليل جبهات الصراع والمحافظة على بيضة المسلمين والسعى في زيادة قوة الدولة الإسلامية.

فحرصه صلى الله عليه وسلم على كسب ود وعطف القبائل لا استعادتها ومحاربتها كان له أثر في نشر الإسلام والتفرغ لجهات أكثر عداءً وتهديدًا لأمن المسلمين..

فاستعداء الدول المجرمة اليوم على المسلمين ليس في صالحنا وليس من الحكم بمكان، لا سيما والمسلمون اليوم في وضع مؤسف من الضعف والتشتت واجتماع القوى العظمى عليهم ودماؤهم التي تُهراق في كل لحظة.

لقد استطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاح الحديبية أن يُخمد جبهة قريش المعادية التي طالما حاربت المسلمين وكادت لهم، وتفرغ بعدها مباشرة لفتح جبهة على عدوٍ لدود لا تقل عداوته عن عداوة قريش؛ ألا وهو يهود خير فأراد رسول

الله أَنْ يَتَفَرَّغُ لِلْقَضَاءِ عَلَىٰ يَهُودِ نَهَائِيَا فِي مَنْطَقَةِ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ لِلتَّخْلُصِ مِنْ أَقْوَى أَعْدَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَنْطَقَةِ الشَّمَالِيَّةِ،
وَلِتَكُونَ تَلْكَ الْمَنْطَقَةُ أَمِيَّةً عِنْدَمَا يَجِدُ مَوْعِدَ مَحَاسِبَةِ قَرِيشٍ.

وَبِالْفَعْلِ اسْتَطَاعَ رَسُولُ اللَّهِ الْقَضَاءُ عَلَىٰ يَهُودِ عَسْكَرِيَاً فِي شَبَهِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ، فَانْتَصَرَ عَلَىٰ يَهُودِ خَيْبَرٍ انتِصَارًا سَاحِقًا،
وَطَلَبَ مِنْ تَبْقَىٰ مِنْهُمُ الصلَحَ عَلَىٰ أَنْ يَحْقِنَ الْمُسْلِمُونَ دَمَاهُمْ.

وَقَبْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتِسْلَامَهُمْ بِشَرْطِ حَقْنِ دَمَاهُمْ، وَأَبْقَاهُمْ عَلَىٰ أَرْضِهِمْ عَلَىٰ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ نَصْفُ ثَمَرَهَا
مَقَابِلَ عَمَلِهِمْ فِيهَا.

كَمَا انتَهَىَ النَّبِيُّ مِنْ يَهُودَ فَدَكَ، وَيَهُودَ وَادِيِ الْقَرَى، وَيَهُودَ تِيمَاء؛ لِيَتَفَرَّغَ بَعْدَهَا لِتَأْدِيبِ قَبَائِلِ الْأَعْرَابِ لِتَوْطِيدِ الْأَمْنِ فِي
الْمَنْطَقَةِ الشَّمَالِيَّةِ لِلْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ بِصُورَةِ خَاصَّةٍ، وَمَنْعِ غَارَاتِ الْأَعْرَابِ عَلَىِ الْمَدِينَةِ، وَحِمَايَةِ الدُّعَاءِ مِنْ غَدَرِ الْقَبَائِلِ، ثُمَّ بَعْدِ
ذَلِكَ حَانَ مَوْعِدُ مَحَاسِبَةِ قَرِيشٍ فَكَانَ فَتْحُ مَكَةَ الْمُبَинِ.

فَهَذِهِ مَعَالِمُ هَادِيَاتٍ فِي حَقِيقَةِ الْاِتَّلَافِ وَالْاجْتِمَاعِ الَّذِي يَتَضَمَّنُ مَقَاصِدَ الشَّرِيعَةِ وَيَحْقُقُ مَرَامِيهَا، لَأَسِيمَا وَنَحْنُ الْيَوْمَ فِي
زَمَانٍ يَتَدَاعَىٰ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ بِكَلَامِ ظَاهِرِهِ الْحَقُّ وَدُونَهُ باطِلٌ وَهُوَ.

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا كَلْمَةَ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ فِي الْغَضَبِ وَالرَّضَا، وَاجْمَعْ كَلْمَتَنَا عَلَىٰ مَا يَرْضِيكَ، وَفَرِجْ عَنِ الشَّامِ وَانْصُرْ الْمُجَاهِدِينَ.

1 - روایہ الإمام مسلم فی صحيحہ برقم: 3236.

2 - أخرجه مسلم/ 2812

3 - إسناده صحيح، أخرجه عبد الحق الإشبيلي في الأحكام الصغرى/ 526، وأبو داود/ 2628

4 - حديث حسن، الجامع في العلل ومعرفة الرجال لأحمد بن حنبل، رقم: 334.

5 - تفسیر الطبری: 3/142.

6 - تفسیر الطبری: 3/142.

7 - أخرجه مسلم 1333

8 - الهيثمي في مجمع الزوائد من حديث حذيفة بن أسد الغفاری

9 - دلائل النبوة للبيهقي